د. عائض القرني

أبيات سارت بها الركبان

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرني، عائض
أبيات سارت بها الركبان. / عائض القرني- ط٣ . - الرياض، ١٤٢٨هـ.
٥٦ ص؛ ١٤×٢١ سم.
ردمك: ٢-٣٤٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨
١- الشعر العربي - السعودية أ- العنوان
ديوي ٨١١,٩٥٣١ ١٤٢٨/٥١٤١
رقم الإيداع: ١٤٢٨/٥١٤١
ردمك: ٢-٣٤٨-٥٤-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الثالثة

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذه أبيات جرت بها الألسنة، وتشنفت بها الآذان، وصارت كالأمثال شهرةً، وكالنجوم ظهوراً، أحببت أن أجمعها لتكون للمتأمل متعة، وللمعتزل أنساً، وللعاقل عبرة، ففيها الحكمة الشاردة، والتجربة الواعية، والرأي السديد، وهي خيار من خيار، فقد تمر بي مئات الأبيات فلا أعجب ببيت واحد، وقد أقلب ديوان الشاعر كله فأخرج ببيت واحد يتيم؛ لأن الإبداع عزيز نادر في نتاج البشر؛ ولهذا قلَّ الرواد، وشح الزمان من المبدعين، ومع قصر العمر وكثرة المشاغل كان من الأحسن اختيار الأفضل واطراح المفضول، فخذ من العين نونها، ومن القلب سويداءه. ومع الأبيات الذائعة الشائعة.

عائض القرني

أبيات سارت بها الركبان

إن كـــان عندك يا زمـــان بقـــيـــة

مما يُهـــان بهـــا الكرامُ فـــهـــاتِـهـــا

لـهـــا عـينٌ أصـــــــابتْ كـلَّ عـينٍ

وعينٌ قـــد أصـــابتـــهـــا العـــيـونُ

ألا إن عـــيـنًا لم تَـجُـــد يوم واسطٍ

عليك بغـــالي دمـــعـــهـا لجَـــمُـــودُ

أعـــزُّ مكانٍ في الدنا ســـرجُ ســـابحٍ

وخـــيـــرُ جليسٍ في الزمـــان كـــتـــابُ

كـــذا قـــضت الأيامُ مـــا بين أهلهـــا

مـــصـــائبُ قـــومٍ عند قـــومٍ فـــوائدُ

أقِلُّوا عليـــهم لا أباً لأبيكم من اللومِ

أو سُـــــدُّوا المكان الذي سَـــــدُّوا

أضـــاعـــوني وأي فـــتىً أضـــاعـــوا

ليـــوم كـــريهـــةٍ وســـدادِ ثَغْـــرِ

هنيـئًـا مـريئًـا غيـرَ داءٍ مـخـامـرٍ

لعـزةَ من أعـراضنا مـا اسـتـحلَّتِ!

سـقط النصـيفُ ولم تُرِد إسـقـاطَه

فـــتـناولتْـه واتقـــتْنا باليـدِ!

ومَنْ كَمُلت فيه النهى لا يسرُّه

نعيمٌ ولا يرتاع للحَدَثانِ

خذا من صَبَا نجدٍ أمانًا لقلبه

فقد كاد ريَّاها يطيرُ بلبِّه!

عيونُ المها بين الرُّصافةِ والجسرِ

جَلَبْن الهوى من حيث أدري ولا أدري!

يقولون لو سلَّيتَ قلبَك لارعوى

فقلتُ وهل للعاشقينَ قلوبُ؟!

يا قومُ أذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ

والأذنُ تعشقُ قبل العين أحيانا!

يكون أُجــاجــاً دونكم فــإذا انتــهى

إليكم تلقَّى طيـــبَكم فـــيطيبُ

وإنما المرءُ حـــــديثٌ بعـــــده

فكن حـــديثـــاً حـــسناً لمن وعى

إن ربّاً كـــفـــاكَ مـــا كـــان بالأمسِ

ســـيكفـــيك في غـدٍ مـــا يكـونُ

دقـــــاتُ قلبِ المرء قـــــائلة لـه :

إن الحـــــيـاةَ دقـــــائـقٌ وثـواني!

إن العـيـونَ التي في طرفـهـا حَـوَرٌ

قـــتلْنَنا ثم لم يُحـــيينَ قـــتلانـا!

ستُبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

وكل نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى

إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ

وإذا لثمتُ يمينَه وخرجتُ من

أبوابِه لَثَم الملوكُ يميني!

تفوحُ أطيابُ نجدٍ من ثيابهم

عند القدومِ لقرب العهدِ بالدارِ!

تمتعْ من شـــمـــيمِ عَـــرَار نجـدٍ

فـــمـا بعـد العـــشـــيـــةِ من عَـــرَارِ

أعِـدْ ذكـــر نعـــمـــانٍ لنا إن ذكـــرتَه

كـــمـــا المسك مـا كـــررتَه يتـــضـــوَّعُ !

كـــأن قطاةً عُلِّقت بجناحِـــهـــا

على كـبـدي من شدةِ الخَـفَـقَـانِ!

بكت عـينيَ اليـمنى فلمـا زجـرتُهـا

عن الجـهلِ بعد الحِلْمِ أسبلتـا مـعـا!

تـراه إذا مـا جـــئـــتَـــه مـــتـــهلِّلاً

كـأنك تعطيـــهِ الذي أنت ســـائلُه!

إذا ســـاء فـــعلُ المرءِ ســـاءتْ ظنونُه

وصـــدَّقَ مـــا يعـــتـــادُه مـن تَوَهُّمِ

ومـن نَكَدِ الدنيـــا على الحُـــرِّ أن يرى

عـــدواً لـه مـا من صـــداقـــتِه بدُّ!

مَنْ يَهُنْ يســـهلِ الهـــوانُ عليـــه

مـــا لـــجـــــــرحٍ بميِّـــتٍ إيـــلامُ

لا خـــيلَ عندك تُهـــدِيهـــا ولا مـــالُ

فليُسعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ!

وإذا كـــانـت النفـــوسُ كـــبـــاراً

تعـــبتْ في مـــرادهـا الأجـــسامُ!

لولا المشـــقـــةُ ســـاد الناسُ كلُّهمُ

الجـــودُ يُفْـــقِـرُ والإقدامُ قـــتَّـــالُ !

إنا لفـي زمـنٍ تـركُ القـــبـــيحِ بـه

من أكـثـرِ الناسِ إحـسـانٌ وإجْـمـالُ

فـــــإن تَـفُـقِ الأنـامَ وأنـت مـنـهـم

فـــإنَّ المسـكَ بـعـضُ دمِ الغـــزالِ

قـــد يهـــونُ العـــمـــرُ إلا ســـاعـــةً

وتضـــيقُ الأرضُ إلا مـــوضِـــعـــا !

هو الجـد حـتـى تـفـضُلَ العينُ أخـتَـهـا

وحـــتى يكون اليـــومُ لليـــومِ ســـيـــدا

فـــإنك شـــمسٌ والملوكُ كـــواكبٌ

إذا طلعتْ لم يَبْـــدُ منهنَّ كـــوكبُ

خلقتُ أَلَوفـاً لو رجـعتُ إلى الصِّبـا

لفـارقتُ شـيبي مـوجعَ القلبِ باكيـا !

وليس على الأعـقـابِ تدمى كلومُنا

ولكنْ على أقـــدامِنا تقطرُ الدمـــا

مـــا كلُّ مـــا يتـــمنى المرءُ يدركـــه

تجـري الرياحُ بما لا تشـتـهي السـفنُ

وبشَّـرتُ آمـالي بشـخصٍ هو الورى

ودارٍ هي الـدنيـــا ، ويومٍ هو الـدهرُ

إذا اشـــتـــبكتْ دمـــوعٌ في خـــدودٍ

تـبـيَّـن مَـنْ بـكـى ممـن تَـبَـــاكـى!

ولستَ بمســـتـــبْقٍ أخـــاً لا تَـلُـمُّـــه

على شَـعَثٍ، أيُّ الـرجـال المهـذَّبُ ؟!

وكـــيف تُـعِـلُّك الـدنيـــا بشـيءٍ

وأنـت لـعِـلَّـةِ الـدنيـا طبـــيـبُ ؟!

المجـدُ عـوفي إذ عـوفـيتَ والكرمُ

وزال عـنـك إلـى أعـــدائـك الألَـمُ!

لا يـدرك المجـدَ إلا ســيـدٌ فَطِنٌ

بما يشق على الســادات فـعَّـالُ

وإذا لـــم يـــكـــنْ مـــن المـــوتِ بـــدٌّ

فـــمـن العـــجـــزِ أن تموتَ جَـبَـــانا!

وإن لم تمت تحت الســيــوف مكرَّمــاً

تمتْ وتعـــاني الذلَّ غـــيـــرَ مكرَّمِ !

ولا عـيبَ فـيـهـم غـيـرَ أنَّ سـيـوفـهم

بـهـنَّ فـلـولٌ مـن قِـــراع الكتـــائبِ

نَسَبٌ كـأن عليـه مـن شـمسِ الضـحى

أَلَقــاً ومن ضــوء الصــبــاح عــمــودا

كـــأنـهـم يَـردون الموتَ من ظَـمَـــأٍ

أو يَـنْشُـــقُـــون من الخِطِّي رَيْـعـــانا!

يســـتـــعـــذبون منـاياهـم كـــأنهـم

لا يخـرجـون من الدنيـا إذا قُـتِلوا !

لو كـان يقـعُـدُ فـوق الشـمسِ من كـرمٍ

قـــومٌ بآبائـهم أو مـــجـدهـم قـعـدوا!

بهـاليلُ في الإسـلام سـادوا ولم يكنْ

لأولـهـم فـي الـجـــاهـلـيـــةِ أولُ!

دارٌ مـتى مـا أضـحكتْ في يومـهـا

أبكت غـداً قُـبْـحـاً لهـا من دارِ !

الســيفُ أصـدقُ أنبـاءً من الكتبِ

في حـدِّه الحـدُّ بين الجِـدِّ واللعبِ!

علوٌّ في الحـــيـــاةِ وفي المـمـــاتِ

لحقٌّ أنت إحـــدى المعـــجـــزاتِ!

كـذا فليـجلَّ الخطْبُ وليـفـدحِ الأمـرُ

فليس لعينٍ لم يفِضْ مـــاؤها عُـــذْرُ

أعـــيناياَ كُـــفَّـــا عن فـــؤادي فـــإنه

من الظُّلم سعيُ اثنين في قَتْل واحدِ!

إن كـــان ســـرَّكُمُ مـــا قـــال حـــاســـدُنا

فـــمـــا لـــجـــرحٍ إذا أرضـــاكُمُ أَلَمُ!

ويقـــبـح من ســـواك الفـــعلُ عندي

وتفـــعلُه فـــيـــحـــسُنُ منك ذاكـــا !

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته

فسرَّهُمْ وأتيناه على هَرَمِ

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها

صفواً من الأقذاءِ والأكدار !

أحرامٌ على بلابله الدوحُ

حلالٌ للطيرِ من كلِّ جنسِ ؟ !

وأبيضُ يُسْتسقى الغَمَامُ بوجهِه

ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

ما في الخيام أخو وجدٍ نطارحُه

حديثَ نجدٍ ولا خِلٌّ نُجاريهِ

أضـاءتْ لهم أخـلاقـهم ووجـوهُهم

دجى الليلِ حتى نظَّمَ الجـزعَ ثاقبُـه

أمـرتُهُم أمـري بمنعَـرجِ اللِّوى

فلم يستبينوا النصحَ إلا ضحى الغَدِ

كـفى بك داءً أن ترى الموتَ شـافـيـا

وحـسْبُ المنايا أن يكـنَّ أمـانيا

ثـمـنُ المجـدِ دمٌ جُـدْنـا بـه

فـاسـألوا كـيف دفـعنا الثـمنا !

والمسـتـجـيـرُ بعـمـرٍو عند كـربتـه

كـالمسـتـجـيـرِ من الرمـضاءِ بالنارِ!

كـأن عـينيك يومَ الجـزْعِ تخـبـرنا

عن المحـبين مـن أسـمـاءِ قَـتْلاك!

كأن لم يكن بين الحُجُون إلى الصفا

أنيسٌ ولم يسـمـرْ بمكةَ سـامـرُ

أمِن تذكُّـرِ جـيـرانٍ بذي سَلَمٍ

مـزجتَ دمعًا جـرى من مـقلةٍ بدمِ؟!

لا تعـذلِ المشـتـاقَ في أشـواقِـه

حـتى يكون حـشـاكَ في أحـشـائهِ

أخـي جـاوز الـظـالـمون المـدى

فـحُـقَّ الـجـهـادُ وحُـقَّ الفِـدا

لهـا أحـاديثُ من ذكـراكَ تَشْـغَلُهـا

عن الطعـامِ وتُلْهِـيـهـا عن الـزادِ

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَغِضْ

فـحـسـبُك مني مـا تُكِنُّ الجـوارحُ

ثوى طاهرُ الأردانِ لم تبقَ بقـعـةٌ

غـداةَ ثوى إلا اشـتـهتْ أنهـا قَـبْـرُ !

ألا أيهـا الركبُ اليـمـانونَ عـرِّجُـوا

علينا فـقـد أضـحى هَوانا يمانيـا !

أُحـبُّك لا تـفـسـيـر عندي لصـبـوتي

أفـسِّـرُ مـاذا والهـوى لا يـفـسَّـرُ!

يا ليتَها إذ فَدَتْ عمراً بخارجةٍ

فدتْ علياً بمن شاءتْ من البَشَرِ !

والناسُ مَنْ يلقَ خيراً قائلون له

ما يشتهي، و لأمِّ المخطئ الخَبَلُ!

قد يُدرك المتأني بعضَ حاجتِه

وقد يكونُ مع المستعجلِ الزلَلُ

لا تغترِرْ ببني الزمانِ ولا تَقُلْ

عند الشدائدِ لي أخٌ وحَمِيمُ

والناس أعوانُ من دالتْه دولته

وهمْ عليه إذا عادتْه أعوانُ

أولئك آبائي فـــجـــئْني بمثلهم

إذا جـمـعـتْنا يا جـريرُ المجـامعُ!

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مـــــروءةٍ

يواســـيكَ أو يسليكَ أو يتـــوجَّعُ

تعـــوَّدَ بسْطَ الكفِّ حـــتى لو انه

أراد انقـبـــاضـــاً لم تُطِعْـــه أناملُه

حلفتُ فلم أترك لنفـــسِك ريبـــةً

وليس وراء الله للـمـــــرءِ مَـــذْهبُ

وتضحك مني شيخةٌ عبشميَّةٌ

كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

يُقْـضى على المرءِ في أيام مـحنتـه

حـتى يرى حَـسَناً مـا ليس بالحَـسَنِ

إن الكرام إذا مـــا أيســـروا ذكـــروا

مَنْ كـان يألفُـهم في الموطنِ الخَـشِنِ

اعذرْ حسودَك فيمـا قد خُصِصْتَ به

إن العُـلا حَـسَنٌ في مـثلهـا الحَـسَـدُ!

إذا كـان هذا الدمعُ يجـري صـبـابةً

على غـير سُـعْدى فـهـو دمعٌ مضيَّعُ !

ومـــا شَـــرَقـي بالماء إلا تذكـــراً

لمـاءٍ به أهـلُ الحـــبـــيبِ نزولُ!

فـــبتُّ كـــأني ســـاورتْني ضـــئـــيلةٌ

مـن الرقْشِ في أنيـــابِهـــا السمُّ ناقِعُ

وصـــــدرٍ أراح الليـل عـــــازب همِّـــــه

تضـاعفَ فـيـه الحـزنُ مـن كلِّ جـانبِ

وإذا المنيـــــةُ أنشـــــبتْ أظفـــــارَها

ألفـــــيتَ كـلَّ تميـمـــــةٍ لا تـنـفـعُ!

هم يحسدوني على موتي فوا أَسَفا

حتى على الموتِ لا أخلو من الحَسَدِ!

عوى الذئبُ فاستأنَسْتُ بالذئبِ إذ عوى

وصـــوَّت إنســـانٌ فكدْتُ أطيـــرُ!

قد كنتُ أُشْفِقُ من دمعي على بَصَري

فاليوم كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا

إني وإنْ لمتُ حاسِدِيَّ فما

أُنكِر أني عقوبةٌ لَهُمُ !

ومن العداوةِ ما ينالُك نفعُه

ومن الصداقةِ ما يضرُّ ويؤلِمُ !

فما أطالَ النومُ عمراً وما

قصَّرَ في الأعمارِ طولُ السَّهَرْ

وأنا الذي جلب المنيةَ طرفُه

فمَنِ المطالبُ والقتيلُ القاتلُ ؟!

وتجلُّدي للشـــامـــتين أُريهِمُ

أني لريبِ الدَّهْرِ لا أتضَـــعْـــضَعُ

فـــصِـــرْتُ إذا أصـــابتْني ســـهـــامٌ

تكسَّـــرَتِ النصـــالُ على النِّصـــالِ

جـــودُ الرجـــالِ من الأيدي وجـــودُهم

من اللســـانِ فـــلا كـــانوا ولا الجُـــودُ!

جـــزى اللهُ المســـيـــرَ إليك خـــيـــراً

وإن تَـــرَكَ المطـايـا كـــــــالمـــزادِ!

كلُّ الموارِدِ غـــــيـــــر النـيـل آسنـةٌ

وكلُّ أرضٍ ســـوى البلقـــاءِ فـيـحـــاءُ

يا من يعـــز علينا أن نفـــارقـــهم

وجـــداننا كل شيء بعـــدكم عَـــدَمُ !

ومـــــا نُيْلُ المطالب بالتـــــمني

ولكن تؤخـــذ الدنيـــا غـــلابا

تلك المكارمُ لا قـــعـــبـــان من لبنٍ

شـــيـــبـــا بماءٍ فـــعـــادا بعـــد أبوالا

هم القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا

أجـــابوا، وإن أَعطوا أطابوا وأجـــزَلُوا

يا قـرةَ العينِ سلْ عـيني هل اكـتـحلتْ

بمنظرٍ حَسَنٍ مذ غبتَ عن عـيني ؟!

ولي كـبِـدٌ مـقـروحـة من يبـيـعني

بهـا كـبـداً ليـستْ بذاتِ قُـروحِ؟!

إذا همَّ ألقى بين عـيـنيـه همَّـه

وأعـرضَ عن ذكـرِ العـواقبِ جـانبـا

سلِ الرمـاحَ العـوالي عن مـعـالينا

واستشهدِ البيضَ هل خابَ الرجا فينا؟

مـا أقـبحَ الصَّـبْـرَ الجـمـيلَ

بعـاشـقـيكَ وأجـملَكْ!

ولما ادعـيتُ الحبَّ قـالت كـذبْتَني

ألستُ أرى الأعـضاءَ منكَ كواسيا؟!

وردْنا على مـاءِ العـشـيـرةِ والهـوى

على مَلَلٍ، يا لهفَ نفـسي على مَلَلْ!

ألا يا حـمـامَ الأيكِ إلفُكَ حـاضـرٌ

وغـصنُك مـيَّـادٌ فـفـيم تَنُوحُ؟!

فـقد هدَّ قـدمـاً عرشَ بلقيس هدهدٌ

وخـرَّبَ فـأرٌ عنوةً سـدَّ مـأربِ

يا عـابدَ الحـرمينِ لو أبصـرْتَنا

لعـلمتَ أنكَ بـالعـبـادةِ تلـعبُ

ألا لا أرى الأحـداثَ مـدحـاً ولا ذمـاً

فـما بطشُها جهـلاً ولا كَفُّها حلْمـا

تـفـتُّ فـــــؤادك الأيامُ فـــــتًّـــــا

وتنحِتُ جـسـمَك الـسـاعـاتُ نحـتـا

أتـيـــأس أن تـرى فَـــــــرجَـــــــاً

فـــــأيـــن الـلـــهُ والـــقَـــــدَرُ؟!

ومـــا كُل دارٍ أقـــفـــرتْ دار عـــزةٍ

ولا كلُّ مـصـقـولِ الـتـرائبِ زينبُ !

لكلِّ شيءٍ إذا مـــا تمَّ نقـــصـــانُ

فـــلا يغـــر بطيبِ الـعـيشِ إنســانُ

جـــرتِ الـرياحُ على مـــحلِّ ديارِهم

فكأنهـم كـــانُوا على مـــيـــعـادِ

ومشتت العزماتِ ينفقُ عمرَه

حيرانَ لا ظَفَرٌ ولا إخْفَاقُ

لشتانَ ما بين اليزيدين في الندى

يزيدِ بنِ عمرو والأغرِّ بنِ حاتمِ

وما كنت أدري قبل عزَة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولَّتِ!

متى تأتِه تعشو إلى ضوء ناره

تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقدِ

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ

خلوتْ ولكنْ قُلْ عليَّ رقيبُ!

وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ

طُوِيَتْ أتاح لها لسان حسودِ

دعِ المقاديرَ تجري في أعنَّتِها

ولا تبيتَنَّ إلا خاليَ البالي

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ

وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ

وما حبُّ الديار شغفنَ قلبي

ولكنْ حبُّ من سَكَن الديارا!

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَه

والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحَرَمُ

لمعت نارُهم وقد عَسْعَسَ الليلُ

ومَلَّ الحادي وحار الدليلُ

ولو لَمْ يكن في كفِّه غيرُ روحِه

لجاد بها فليتقِ اللهَ سائلُهْ!

اذكرونا مثلَ ذكرانا لكم

رُبَّ ذكرى قربتْ مَنْ نَزَحا

واعلم بأن عليك العارَ تلبَسُه

من عضَّةِ الكلبِ لا من عضَّةِ الأَسَدِ!

أنا ابنُ جلا وطلاع الثنايا

متى أضع العمامةَ تعرفوني

ليس الحجابُ بمقص عنك لي أملاً

إن السماء تُرجَّى حين تحتجبُ

قد هيَّؤوك لأمرٍ لو فطنتَ له

فاربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهَمَلِ

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي

بنو اللقيطة من ذهلِ بنِ شيبانا

من راقبَ الناسَ مات همّاً

وفاز باللذةِ الجَسُورُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ

تدل على أنه واحدُ

فـفي الســمــاءِ نجـومٌ لا عـدادَ لهـا

وليس يكسفُ إلا الشـمسُ والقــمـرُ

والحـــادثاتُ وإن أصـــابَك بؤسُـــهـــا

فـهـو الذي أنبـاكَ كـيف نعـيـمُـهـا

ذكـرُ الفـتى عـمـرُه الـثـاني، وحـاجـتُـه

مـا قـاتَه، وفـضـولُ الـعـيشِ أشْـغَـالُ

فـــإن كنتَ لا تسطيع دفعَ منيَّـــتي

فـــــدعني أبـادرُها بمـا ملـكتْ يدي

إذا أنت أكـــــرمتَ الكـريمَ مَلكتَـــه

وإن أنت أكـــــرمتَ اللئـــــيمَ تمرَّدا

إذا غـــامـــرتَ في شَـــرَفٍ مـــرومِ

فـــلا تقنعْ بما دون النجـــومِ

يا ظبيـةَ البـانِ ترعى في خـمـائِله

ليـهْنِكِ اليـومَ أنَّ القلبَ مـرعـاكِ!

وفي الأرضِ منأى للكريم عن الأذى

وفـيـهـا لمن خـافَ القِلى مُـتَـعـزّلُ

وكلُّ شـــديدةٍ نزلتْ بقـــومِ

سـيـأتي بعـد شـدَّتها رخـاءُ

ومن هابَ أســبـابَ المنايا ينلْنَه

وإن يرقَ أسـبـابَ السـمـاءِ بسلَّمِ

أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ويصطفي

عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ

تعدو الذئابُ على مَنْ لا كلابَ له

وتتقي مربضَ المستنفرِ الحامي

ابدأ بنفسكَ فانهها عن غيِّها

فإذا انتهتْ عنه فأنتَ حكيمُ

تعيّرُنا أنَّا قليلٌ عديدُنا

فقلتُ لها: إن الكرامَ قليلُ

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً

على المرء من وقعِ الحسامِ المهنَّدِ

بغـــاثُ الطيـــرِ أكـــثـــرها فـــراخـــاً
وأُمُّ الصـــــقـــــرِ مـــــقـــــلاةٌ نـزورُ

إن الغـصـونَ إذا قـومـتَـهـا اعـتـدلتْ
ولـن تلـينَ إذا قـــومـــتَـــهـــا الخَـــشَـبُ

والـنفسُ راغـــبـــةٌ إذا رغـــبـــتَـــهـــا
وإذا تُـــردُّ إلـــى قـــلـــيـــلٍ تـــقـــنـــعُ

ومَنْ يـجـعـلِ المعـروفَ في غـيـر أهله
يكنْ حـــمـــدُه ذمّـــاً عليـــه ويندمِ

إذا لـم تســـتـطـعْ شـــيـــئـــاً فـــدعْـــه
وجـــــاوزْه إلـى مـــــا تســـــتـطـيـعُ

عن المرء لا تسـألْ وسلْ عن قـرينه

فكلُّ قـرينٍ بالمقـارنِ يقـتـدي

من لم يمتْ عـبطة يمتْ هرمـاً

للمـوتِ كـأسٌ والمرءُ ذائقـهـا

أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومـدمنِ القـرع للأبواب أن يلجـا

يعـيشُ المرءُ مـا استـحـيـا بخـيـرٍ

ويبـقى العـودُ مـا بقي اللحـاءُ

نـروحُ ونغـدو لحـاجـاتنا

وحـاجـةُ من عـاش لا تنقـضي

ولم أرَ كالمعروفِ، أما مذاقُه

فحلوٌ، وأما وجهه فجميلُ

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً

فأرسل حكيماً ولا توصِهِ

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ

وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

إذا لم يكنْ إلا الأسنةَ مركبٌ

فما حيلةُ المضطرِّ إلا ركوبُها

تعلَّمْ فليسَ المرءُ يولدُ عالماً

وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ

إذا كنتَ في كلِّ الأمـــور مـــعـــاتبـــاً

صـــديقَك لم تلقَ الذي لا تعـــاتبُـــهْ

إذا امـــتـــحن الدنيـــا لبـــيبٌ تكشّـــفتْ

لـه عن عـــدوٍّ في ثيـــاب صـــديق ِ!

واعـــلـــمْ بـــأن مـــن الـــسـكـــوتِ إبـــانـــةً

ومن التكلمِ مـــا يكون خـــبـــالا

الصـــــمتُ أجـــــملُ بـالفـــــتى

من منـطقٍ في غـــيـــــر حِـــينِه

يصـــابُ الفـــتى من عـــثـــرةٍ بلســـانه

وليس يصـابُ المرءُ من عـثـرةِ الرِّجْلِ

لســانُ الفــتى نصفٌ ونصفٌ فــؤادُه

فلـم يبقَ إلا صـــورةُ اللحـم والدمِ

إذا ضـاقَ صـدرُ المرء عن سـرٍّ نفسـه

فصـدرُ الذي يُسْتَـوْدَعُ السـرَّ أضـيقُ!

جــراحــاتُ الطعــانِ لهــا التِــئــامُ

ولا يلتـــامُ مـــا جـــرح اللســـانُ

وإنَّ امـرءاً قـد سـارَ سـبـعين حـجـةً

إلـى مـنـهـلٍ مـن وِردِه لـقـــــريـبُ

أحـسِنْ إلـى الناس تسـتْـعـبـدْ قلوبَهم

فطالما اسـتـعـبـد الإنسـانَ إحـسـانُ

بقــدرِ الجــدّ تُكتــسبُ المعــالي

ومن رامَ العــلا ســهــر الليــالي

تقــفــون والفلكُ المســخَّــرُ دائرٌ

وتقــدّرون وتضــحكُ الأقــدارُ

أعلِّلُ النفسَ بالآمــال أرقــبــهــا

مـا أضيق العيش لولا فسحةُ الأملِ

غبْ وزرْ غــبــاً تزدْ حــبــاً فــمَنْ

أكــثــر التــردادَ أقــصــاه الملَلْ

لعـمرُك مـا تدري الضوارِبُ بالحصى

ولا زاجـراتُ الطيــر مـا الله صـانعُ

ومَنْ ينفقِ الساعات في جمع ماله

مخافةَ فقرٍ فالذي فَعَل الفقرُ!

ومَنْ يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ

يجدْ مرّاً به الماءَ الزلالا

ولبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني

أحبُّ إليّ من لبس الشفوفِ

ذهبَ الشبابُ فما له من عودةٍ

وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ؟!

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ

حسبت الناسَ كلَّهم غضابا!

ذهبَ الذين يُعـــاشُ في أكنافـــهم

وبقـــيتُ في خلقٍ كـــجلد الأجـــربِ

لولا الحـــيـــاءُ لعـــادني اســـتـــعـــبـــارُ

ولـزرت قـــبـــرك والحـــبـــيـــبُ يُـزارُ

وكـــانتْ في حـــيـــاتِك لي عِظاتٌ

فـــأنت اليـــومَ أوعظُ منك حـــيًّـــا

تعبٌ كلُّهـــا الحـــيـــاةُ فـــمـــا أعـــ

ـــجـــبُ إلا مـــن راغـــبٍ فـــي ازديـــادِ

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبـــغـــيـــتِـــهـــا

واقـــعـــدْ فـــإنكَ أنت الطاعمُ الكاسي

قُـــبـــيِّلةٌ لا يغـــدرونَ بذمـــةٍ

ولا يظلمـونَ الناسَ حـبـةَ خـردلِ

ضـدان لما اسـتـجـمـعـا حَـسُنا

والضـدُّ يُظهِـرُ حـسنَه الضـدُّ

إذا اعـتـادَ الفـتى خـوضَ المنايا

فـأهـونُ مـا يمر به الـوحـولُ

فطعمُ الموتِ في أمـرٍ حـقـيـرٍ

كطعمِ الموتِ فـي أمـرٍ عظيمِ

وحبُّ الجـبـان النفسَ أورده التـقى

وحب الشـجـاعِ النفس أورده الحـربا

فـــغـضَّ الطرفَ إنكَ من نميـــرٍ

فـــلا كـــعـــبـــاً بلغتَ ولا كـــلابا

من يفـعلِ الخـيـرَ لم يُعـدم جـوازيه

لا يذهب العـــرفُ بين الله والناسِ

إذا أنتَ لم تشـربْ مـراراً على القـذى

ظمـئت وأيُّ الناس تصفـو مـشـاربُه؟!

مكرٍّ مِـفـرٍ مـقـبل مـدبرٍ مـعـاً

كجلمود صخـرٍ حطَّه السيلُ من علِ

نصـحـتُك فـالتـمسْ يا ليثُ غـيـري

طعـــامـــاً إن لحـــمي كـــان مـــرًّا!

أتاكَ الربيعُ الطلقُ يختالُ ضاحكاً

من الحسنِ حتى كادَ أن يتكلما

ليلتي هذه عروسٌ من الزنجِ

عليها قلائدٌ من جُمانِ

يا جارةَ الوادي طربتُ وعادني

ما يُشبه الأحلامَ من ذكراكِ

هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ

إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

وإنما أولادُنا بيننا

أكبادُنا تمشي على الأرضِ

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي

وأسمعتْ كلماتي مَنْ به صممُ

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه

لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

إذا المرءُ لم يدنسْ من اللؤمِ عرضُه

فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ

تسيلُ على حدِّ الظباتِ نفوسُنا

وليستْ على غيرِ الظباتِ تسيلُ

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

إنا لمن معشرٍ أفنى أوائلَهم

قيلُ الكماةِ: ألا أين المحامونا؟!

وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ

إذا ما عُدّ من سَقَطِ المتاعِ

أحلامُنا تزنُ الجبالَ رزانةً

وتخالُنا جنّاً إذا ما نجهلُ

كأنَّ مثارَ النقعِ فوق رؤوسِنا

وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهُها

وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفعلُ

الخـيلُ والليلُ والبـيـداءُ تعـرفني

والسـيفُ والرمحُ والقـرطاسُ والقلمُ

مـحـسَّـدونَ على مـا كـانَ من نعمٍ

لا ينزعُ اللهُ منهم مـا لَه حُـسِـدوا

أغـرُّ أبلـجُ يُسـتـسـقى الغـمـامُ به

لو صـارعَ الناسَ عن أحلامِـهم صـرعا

هيْـنون لـينـونَ أيسـارٌ ذوو كـرمٍ

سـوَّاسُ مكرمـةٍ أبنـاءُ أيسـارِ

أأذكـرُ حـاجـتي أمْ قـد كـفـاني

حـيـاؤك إن شـيـمـتَك الحـيـاءُ

قــومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غــيــرهم

ومن يســوّي بأنف الناقــة الذنبــا

ونشــــربُ إن وردْنا الماءَ صــــفــــواً

ويشــــربُ غــيــــرُنا كــــدراً وطينا

إنا لقــومٌ أبت أخــلاقُنا شــرفــاً

أن نبــتــدي بالأذى من ليس يؤذينا

قــومٌ إذا الشــرُّ أبدى ناجــذيْه لهم

طاروا إليــــه زرافــــاتٍ ووحــــدانا

بانتْ سعــادُ فقلبي اليــومَ متــبــولُ

مــتــيمٌ إثرها لم يُفــد مكبــولُ

من تلقَ منهم تقلْ لاقيت سيدَهم

مثلُ النجومِ التي يسري بها الساري

بيضُ الوجوهِ نقيةٌ حجزاتُهم

شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأولِ

سأشكرُ عمراً إن تراختْ منيّتي

أياديَ لم تُمنَنْ وإنْ هي جَلَّتِ

لا يسألونَ أخاهم حين يندبُهم

في النائباتِ على ما قال برهانا

هو البحرُ من أي النواحي أتيتَه

فلجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُه

ولدَ الهدى فالكائناتُ ضياءُ

وفمُ الزمانِ تبسمٌ وثناءُ